مِنْ

بقلم: حياة الياقوت

ركاز®
لتعـزيز الأخـلاق

قصة للفتيات من إصدارات حملة ركاز الإعلامية الثالثة عشرة

مسك

بقلم: **حياة الياقوت**

علياء 1

هل تعرفون ما هي مشكلتكم أيها الديناصورات؟ مشكلتكم الأولى هي أنكم تفهمون تماما أن جيلنا مختلف عن جيلكم، تفهمون أننا أكثر وعيا وأسرع نضوجا، وتصرون – رغم كل هذا – على تشكيلنا وفق طرقكم الخاصة. وإن حدّثنا عن طريقكم، صفعتمونا بعبارتكم الشهيرة "جيل آخر زمن".
أما مشكلتكم الثانية فهي رؤيتكم السوداوية للأمور. حينما تقولون قولتكم المجيَدة "الصاحب ساحب"، فأنتم تقصدون تحذيري من فتيات لا يعجبنكم.
أما أنا فأرى الأمر من ناحية أخرى، من قال أنهن سيفسدنني؟ لماذا لا أكون أنا سببا في إصلاحهن وكسب الثواب من وراء ذلك؟ عليكم أن تتعلموا التفاؤل قليلا.

مسك 1

أكره نفسي حينما أضطر لقطع العهود على نفسي، هذا لأني ما كنت ناكثة وعدا. أتفهّم قلق خالتي أمِ علياء على ابنتها، لكن وعدي لها بأن أجعل علياء أعز صديقاتي وعد جامح جدا لم أعِ مدى ثقله إلا حينما أنهيت المكالمة. لكنّه وعد، و "وعد الحر دَين عليه".
علياء إنسانة مستقلة ومنطلقة، إنسانة من الصعب أن يفرض أحد الخيار عليها، بل تحب أن تكتشف الحقائق بنفسها. ترى كيف أجعلها "تكتشفني"؟ علي أن أكون قريبة – بعيدة، ومفيدة.

علياء 2

أنتني مسك تتبسّم، ثم لوّحت لي.
مسك: السلام عليكم. علياء، هل لي بدقيقة على انفراد؟
فيّ (هامسة): مجددا، الحاجّة مسك لا تتشرف بالاقتراب من مجموعتنا! لماذا لا تأتي إليك هنا؟

علياء: أخفضي صوتك، عيب! هي من سكان حيّنا، وتعد جارتنا ولها حق عليّ.
أقترب من مسك. لطيفة هذه الإنسانة بشكل مفرط، ومهذبة بشكل مزعج، ومتوقعة للغاية. أكاد لا أصدق أنها حقيقية. ليت بإمكاني رش هذه المخلوقة الأثيرية بقليل من البهار، بقليل من العناد والتمرد.
علياء: أهلا يا مسك. هل تريدين شيئا ؟
مسك: قلت في نفسي أنه قد يكون هذا الإعلان فاتك، فأحضرت لك نسخة منه.
علياء: ما هذا؟ من أين حصلت عليه؟ وكيف لم أعلم بالأمر؟!
مسك: كما تعلمين، أنا عضوة في فريق الطلبة المميزين فعلمت بأمر الإعلان. في الحقيقة، لقد وضعوا نسخا منه على اللوحات الإعلانية، لكن سرعان ما أزالها عمال النظافة. لذا، توقعت أن يكون قد فاتك الاطلاع عليه.
علياء: مسك، لا أعرف كيف أشكرك.
مسك: لا تشكريني، اشكري طموحك! بعد غد آخر موعد للتقدّم، فسارعي.
وقفت مشدوهة أتأمل كل حرف في الإعلان، أتأمل فرصتي، تلك الفرصة التي يقولون أنها لا تأتي إلا مرة في العمر، ها قد جاءت. أعيد قراءة الإعلان مجددا، أتمعن في شروط المسابقة، وقلبي يخفق خوفا من وجود شرط يخرب علي بهجتي.
الحمد لله، من الواضح أني مستوفية جميع الشروط. قوس قزح لذيذ يرفرف فوق رأسي. إذا فزت بهذه المسابقة سأحصل على بعثة لأكمل دراستي الجامعية بعد أن أنهي الـ "دبلوم" هذا الفصل الدراسي إن شاء الله. بالإضافة إلى دورة مكثفة في اللغة الإنكليزية خلال عطلة الصيف. المستقبل الممل والباهت الذي كان ينتظرني بعد التخرج على وشك أن يبيد، وباب وسيع يفتح دفتيه لي ليحتضنني.
تقترب مني فيّ غاضبة:
– هيه! ماذا حدث لك؟ لماذا تكلمين نفسك؟ ماذا فعلت بك هذه المسك؟
– لقد عطّرت حياتي يا فيّ.
– أم أربع عيون؟
– أرجوك! لا تقولي هذا عنها.
– هيّا، تأخرنا. بقية الفتيات ينتظرننا في مقهى المجمّع الجديد. يجب أن نراه اليوم.
أخبئ الورقة في حقيبتي، ووأخبئ معها آمالي لئلا يخدشها أحد أو يهزأ بها.

بعد ثلاثة أسابيع.

مسك 2

– لا يا دكتور، أرجوك!

– هل تدركين يا مسك أنك تتدخلين في قرار اللجنة؟ وهذا أمر لا يحق لك! لو لم تكوني من المتميزات لكان لي رد آخر. ولكنت عاقبتُ مساعدتي آمال لأنها هي من أفشت الخبر لك. لكني أعلم أنك أهل للثقة، لذا لن أتخذ خطوات قاسية تجاهك أو تجاه آمال.

– أنا آسفة، لكن كنت أظن أنه يمكن إعادة النظر في الأمر، أو على الأقل سماع تبريرها. قد يكون هناك سوء فهم في الموضوع.

– الأمر لا يبرر. ثم اذهبي واحتفلي، واستعدي لمستقبلك الجديد الباهر.

غريب هذا الإحساس، أريد أن أفرح بنجاحي، لكن ثمة غشاوة حزينة تلفني. تناولت هاتفي وأرسلت لعلياء رسالة أخبرها فيها بالنتيجة وأحثها على أن تفعل شيئا لعل وعسى، لكن دون أن أبين لها أني أعرف تلك التفاصيل المخيفة والمخزية.

علياء 3

ذهبت مدججة بالحجج، وسأفحمهم حتى يعلنوا فوزي بالمسابقة. لن أقبل بأقل من اعتذار ورد اعتبار، خاصة أن درجتي في الاختبار التحريري شبه كاملة. لقد أخذت كل التفاصيل القانونية من ابنة خالتي سوسن التي تدرس القانون. سألجأ إلى المحكمة الإدارية وأطعن في القرار إذا لزم الأمر. لن أهين أو ألين، لا بد أن أستأسد، فمستقبلي على المحك.

بدا الدكتور خالد مستغربا من موقفي القوي، في الحقيقة، لا بد أنه معجب بإصراري، لكن إعجابه ظهر على شكل استغراب، وذلك حفاظا على ماء وجهه! ماذا عساه أن يقول ليبرر ما حدث؟ حسنا، لن أصر على أن يعتذر لي، سأقبل بأن يتداركوا الخطأ ويضموني إلى الفائزين بالمسابقة. سأبرهن له أن قلبي طيب لا يحمل الضغائن بعكس لجنتهم المنحازة.

يرفع الدكتور السماعة، ويهمس لأحد موظفيه طالبا منه إحضار قرص مدمج. لا بد أنه فيه النتائج التفصيلية، ولا شك أنهم سيضيفون اسما رابعا للفائزين. انتظروا قليلا وسترون نتائج إصراري وقدراتي في الدفاع والإقناع.

جاء أحد الموظفين بالقرص المدمج. لا تعجبني نظراته لي. مهلا، لعلها نظرات انبهار وإعجاب بي كوني لم أسكت عن حقي، وظهرت نظراته بشكل خاطئ على وجهه. فعلا، بعض البشر لا يحسنون ترجمة مشاعرهم على وجوههم!

– هل يمكن أن تقولي لي مَنْ في الصورة هذه يا علياء؟
ما الذي يحدث؟ هذه صورة صديقتيّ فيّ وسهاد . يا للهول، من أين حصل عليها؟ وماذا يريد منّا؟!
أجيبه بثقة حذرة :
– هاتان صديقتاي، فيّ وسهاد .
– وهناك، في زاوية الصورة؟ أليست هذه أنت؟ حسنا، حسنا . هذه الصورة أقرب، ألست أنت من تظهر في الصورة معهما؟
– هاه؟ نعم هذه أنا . لكن كيف حصلتم على هذه الصور؟ وبأي حق؟ والأهم من هذا ما دخل كل هذا بموضوعي؟
– حصلنا عليها من حساب صديقتك فيّ على الـ ”فيسبُك“ . يبدو أنها لم تعدّل إعدادات الخصوصية مع التغييرات الأخيرة في الـ ”فيسبُك“ ، وتمكن محققنا من مشاهدة مجموعة الصور هذه.
أتغابى/أتذاكى/أتواقح وأقول له:
– آها، حسنا، سأحرص على إخبارها بأن تحصّن حسابها من المتطفلين. شكرا لك.
– كما تعلمين يا علياء بأن جزءا من درجة المسابقة مخصص لسلوكيات وأخلاقيات المتقدم. السمعة مهمة جدا؛ هذه البعثة استثمار، والسمعة معيار . نحن نبحث بكل الطرق الممكنة لنتأكد من توفر هذا الشرط في الفائزين. والشبكات الاجتماعية وسيلة ممتازة لمعرفة الكثير مما نود معرفته.
– أجل فعلا، لقد كتبت في الحقيقة ذات مرة تقريرا عن ذلك لـ ...
يقاطعني ببرود ويكمل :
– وطبعا عنوان مجموعة الصور هذه كان ”سماعة البلوتوث في خدمة الطالب المغثوث“ وكانت صديقتاك تشرحان فيها لبقية صديقاتهن على الـ ”فيسبُك“ كيفية استخدام سماعة النقّال في الغش أثناء الاختبارات!
– آآآآه، فيّ وسهاد مشاكستان قليلا . ولكن وكما ترى، أنا كنت أجلس في الزاوية ولا دخل لي بالأمر. وكما تعلم أيضا أني ممتازة دراسيا . معدلي 3.79 وسيزيد إن شاء الله هذا الفصل.
– بالضبط كنت في الزاوية لأنك الفتاة المتفوقة التي تجلس خارج القاعة وتبث لزميلاتها الإجابات الصحيحة عبر السماعة!
– لا مستحيل! أقسم بالله العظيم أن هذا لم يحدث أبدا! لم أغش ولم أساعد أحدا على الغش طوال حياتي. كما أن كثيرا من الشُعَب التي سجلت فيها تختلف عن شُعَب صديقاتي، لكوني متفوقة ولي أولوية التسجيل، فشعبنا تتباين.

– وكلما اختلفت الشعب، كان هذا أفضل كي تساعديهما عن بعد! لقد خسرت المسابقة يا علياء، وليكن هذا درسا لك. كنت على وشك اتخاذ إجراءات بحقكن جميعا، لكن وجودك بينهما شفع لهما. أنت طالبة ممتازة ولا أريد أن أضرك. لكني حقا مصدوم. لم أتوقع أن تفعلي ذلك.

الأفكار تتدافع في رأسي لتخرج، لكنّ لساني معقود تماما. أريد أن أطلب منه مصحفا كي أقسم له عليه بأني كنت جالسة وحسب معهما. كنت أعلم بما تفعلان لكني لم أشاركهما هذا أبدا في حياتي كلها. لقد أنكرت ما تفعلان في نفسي، فهما صديقتاي ويصعب علي أن أجرحهما مباشرة بمواجهتهما. كنت أريد أن أنصحهما في يوم ما، كنت أخطط لذلك بصدق، لكن كلما أقدمت على قول شيء، أتراجع لسبب ما لا أستطيع تشخيصه.

كدت أستعرض معلوماتي القانونية التي طالما استقيتها من سوسن، وكدت أجادله وأُسائله عن حقه في النبش في سجلات المتقدمين للمسابقة والتفتيش في خصوصياتهم. كان لدي كلام كثير، بيد أنّ الخوف والخجل قطعا لساني وحَوّلاه إلى وجبة غداء شهية لهما.

3 مسك

أخبرتني آمال بأن علياء في الداخل، فقد كنت أوصيتها أن تتصل بي حينما تصل علياء. هرعت إلى مكتب الدكتور خالد، وجلست في الخارج أترقّب. تخرج علياء وعلى وجهها تجلد مصطنع، وعيناها كقطعتي ثلج. يبدو أن الأمور لم تَسِر على خير. أمسك بيد علياء وأسحبها إلى داخل مكتب الدكتور خالد، ثم أقول له بحزم:

– دكتور، أنا متنازلة عن بعثتي لصالح علياء.

تقفز عيناه وعيناها باتجاهي ذهولا. يصمت الجميع قليلا من هول ما قلت، ثم يقول الدكتور:

– مسك، أنت طالبة مثالية. أرجوك، لا تضيعي مستقبلك بقول أشياء قد تندمين عليها. أنت منفعلة الآن نصيحتي لك أن تهدئي وتلتفتي إلى مستقبلك.

– أنا مصرّة جدا، وجادة في ما أقول.

– أصري كما تشائين. لدينا اسمان احتياطيان في حال تعذر التحاق أحد المرشحين بالبعثة، سنختار أحدهما بدلا عنك.

يجمع الدكتور أغراضه ويستعد للخروج من المكتب، فنضطر للخروج ونقف قرب الباب. علياء مصدومة ولا تنطق بشيء، وأنا أفكر بحثا عن حل، عن أمل. يقفل الدكتور باب مكتبه ثم يقول لعلياء:

– على فكرة، أنت موفقة جدا بأن لديك صديقات من هذا النوع! لا أعني فيّ وسهاد، بل مسك.

أريد أن أفرح بما يقول لكن لا أستطيع. يعاجلني الدكتور خالد سائلا:

– لماذا قلتِ ما قلت يا مسك؟

– وعد غليظ و "وعد الحر دين عليه".
– عجيب! وعدت بأن تتنازلي عن بعثتك لها؟
– بل وعدت بشيء أكبر، وعدت بأن أكون صديقة لها.
– علياء، إن خسرتِ البعثة، فقد فزت فوزا عظيما بهذه الصديقة! مسك، "...كحامل المسك".

ويغادر الدكتور خالد. فأقول لعلياء المشدوهة:
– علياء، ما رأيك أن نذهب لنحتفل؟ هناك مقهى جديد في المجمع التجاري لم أزره من قبل. هل تأتين للاحتفال معي؟
تصمت علياء، وتنظر إليّ بوجه عديم التعابير؛ وجه نفد مخزونه من الاستغراب.
– علياء، ألن تسأليني بم نحتفل؟
– بنجاحك طبعا. أنا سعيدة بنجاحك يا مسك. معدنك أصيل، معدنك نفيس يا مسك.
– لا، لا. سنحتفل بهذا الإعلان.
– أي إعلان؟
– إعلان نشرته شركة في القطاع الخاص، تبحث عن خريجي "دبلوم" من تخصصنا ومعدلهم أكثر من 3 نقاط. تعرض تدريبهم لستة أشهر، وفي حال إثبات كفاءتهم ستبتعثهم لإكمال دراستهم الجامعية.
– حقا؟ أين هو الإعلان.
– في حقيبتي. سأطلعك عليه شريطة أن تدفعي أنت حساب المقهى اليوم.
– ها ها ها، ظريفة أنت حينما تكونين استغلالية ومتمردة. لم أكن أعلم أنه يمكن لصحبتك أن تكون ممتعة هكذا!
– أرجوك، لا تتهوري في أحكامك. لن تكون صحبتي اليوم ممتعة كثيرا لمحفظتك، فشهيتي للطعام في أوج حالاتها اليوم!

وتغرق الصديقتان الجديدتان في سحابة ضحك شفيفة.

صحبتنا
سعدتنا